الذكرى الثانية لرحيل الفنان شريف ناجي

كانت أغانيه همزة الوصل بين الوطن والمغتربين

شبواني .. ولد في أبين .. وتوفي في عدن

عام ١٩٥٣م .. نحن الآن في مدينة لودر -زارة بالذات - التابعة لأرض الخير والعطاء أبين .. كان أهل المدينة يحتفلون ذلك اليوم بثلاثة أعياد، ولهذا فقد كان جميعهم يرتدون أجمل ملابسهم.

كان اليوم هو الجمعة .. والجمعة عند المسلمين ، وخاصة في المناطق التي لم تفقد أصالتها ، هو يوم (جمعة وعيد والصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم) .. وكان عيد المدينة الثاني هو الخير الوفير الذي حققته أرضها الزراعية مما جعل أسعار محاصيلها ترتفع كثيراً نتيجة جودة تلك المحاصيل، وارتفعت بالتالي مكاسب جميع المواطنين .. أما عيد المدينة الثالث الذي تحتفل لاستقباله، فهو المهرجان السنوي الذي يقام كل عام ويشارك فيه عشرات الشعراء الشعبيين من مناطق أبين وشبوة ولحج وحضرموت في مساجلات شعرية رائعة .. ويحضر أيضاً المئات من المواطنين من مختلف مدن أبين وشبوة ولحج وحضرموت لحضور تلك المساجلات الشعرية، حيث إن معظم هؤلاء القادمين تربطهم علاقة قرابة ومصاهرة وصداقات قديمة مع أهل المدينة لودر.

كان الشيخ (ناجي أحمد مصعبي) يغادر منزله متجهاً الى المسجد لأداء صلاة الجمعة .. وكانت سعادة الناس من حوله تزيد من سعادته الشخصية .. كان يحس أن جميع أهل مدينة لودر هم أهله ، ولقد انصهر بالمدينة وأهلها منذ أن قدم إليها قبل سنوات قادماً من مدينته في شبوة .. لم يشعر ولو للحظة أنه غريب يعيش في مدينة ليست مدينته ، لأنه وجد أهلها يفتحون له قلوبهم وبيوتهم لاستضافته من أول يوم وصل فيه إلى لودر، وعندما عرفوه أكثر أصبح واحداً منهم، بل إنهم تناسوا مع الأيام أنه من مواليد مدينة أخرى وأحبوه أكثر عندما اكتشفوا فيه شاعراً شعبياً متميزاً ومتفوقاً على أقرانه من شعراء المدينة، بل كان يتفوق على شعراء المدن الأخرى في المساجلات الشعرية التي تفتخر بها كل مدينة بشعرائها المتميزين .. كان كل هذا يدور في ذهن الشيخ الذي يشارك أهل مدينته أفراحهم وأعيادهم .. ولكن كان يشوب فرحته نوع من القلق، فقد ترك زوجته في المنزل تشكو ألم الوضع الذي جعلها تؤكد له أن الفرج سيتم اليوم إن شاء الله .. وظل قلقاً حتى وهو يستعد للمشاركة في المساجلة الشعرية التي بدأت بعد صلاة العصر.. وكان مضمون تلك المساجلة قصائد تتحدث عن الشرف.. لذا فإنه ما إن سمع أحد أفراد أسرته يقول له : مبروك يا شيخ ناجي (جالك ولد) حتى هتف إنه شريف .. سأسميه (شريف) تيمناً بعيد الشعر الذي تعيشه لودر.

وهكذا جاء شريف ناجي الى الدنيا عام ١٩٥٣م في مدينة لودر وعاش فيها طفلاً وشاباً متفوقاً في دراسته، يؤكد كل من عرفه أنه (شريف اسماً على مسمى) وبجانب تفوقه في دراسته كانت هواية تشده إلى الفن، يغني في المدرسة، ويتجمع أهل الحي مساء حوله وهو يغني للعطروش ومحمد سعد.. وعبدالحليم حافظ، كان يغني ويدندن بالمقاطع الموسيقية للأغنية بصوته، لأنه لم تكن هناك أي آلة موسيقية في لودر سوى الطبل .. إلى أن أحضر شقيقه الذي كان هو أيضاً يهوى الغناء آلة عود اشتراها من مدينة عدن عام ١٩٧٤، ولكنه تنازل عن آلته الموسيقية، بل عن هوايته الفنيه عندما وجد أن شقيقه شريف يغني أفضل منه، بل إن عشقه للغناء أصبح هاجساً وطموحاً.

وجد الشاب شريف نفسه منفرداً مع آلة العود في غرفته .. وخلال أشهر قليلة كانت أوتار العود تستجيب لأصابعه في عزف جميل خال من النشاز .. وكان معلمه الأول موهبته وحبه للفن وعشقه للغناء وهي أدوات لا تحتاج إلى معلم من بني البشر.

تخرج شريف في كلية الحقوق ليصبح (قاضياً يسكنه فن الغناء) مثلما قال عنه الفنان الرائع عصام خليدي .. وتحول القاضي الى مستشار قانوني .. ولكنه كان فناناً أكثر مما هو قانوني..وكان يعرف أن مكانه ومتسقبله هناك، في تلك المدينة الرائدة والرائعة بين جميع المدن اليمنية ودول الجزيرة والخليج .. إنها (عدن) .. ولذا ما إن لمح (النداهة) تعطيه الإشارة .. حتى استجاب لها بقلبه وروحه وفنه وكل نبضه فيه .. وهكذا انتقل الى (عدن) المدينة/الحلم.

رصد مشواره / عبدالقادر خضر

حقق شريف ناجي في عدن كل أحلامه في النجاح الوظيفي، وفي الانطلاقة الحقيقية له كفنان صاحب صوت جميل وألحان غنائية مميزة اشتهر بها .. ومن عدن كانت انطلاقته الفنية الى المدن اليمنية وإلى دول الجزيرة والخليج، وخاصة بين المهاجرين اليمنيين الذين كان يحمل لهم نداء الوطن (يا غايب متى كرجل قانون لتتفرغ للفن، أو تترك باتعود) ويصبح فنان المغتربين الأول بلا منازع.

أحمد قاسم

الزيدي

وكانت الصدمة .. وكانت النكسة التي أجهضت كل أحلامنا الجميلة .. وكانت أحداث ١٣ يناير المشؤومة ليس على شريف ناجي وإنما على معظم المبدعين والمثقفين والسياسيين الذين تحولوا إلى (زمرة) بعد أن كانوا رائحة الوطن الزكية .. وكانت بداية انتكاسة شريف ناجي، وخاصة عندما قال المسؤول عنه وظيفياً (وزير العدل) إما أن تستقيل من وظيفتك الغناء لتتفرغ لوظيفتك، ممنوع الجمع بين الوظيفة والفن!!

وقبل أن يختار وجد نفسه مع آلاف الكوادر (الزمرة) بلا فن ولا وظيفة .. وهكذا مرت أجمل سنوات شريف ناجي في وطن لا يستطيع أن يقدم فيه فنه، لأنه لم تعد هناك أهمية حقيقية للفن .. ولا يستطيع أن يكون رجل قانون يطبق مواد القانون الذي تعلمه، لأن الوطن أصبح له قانون الحق فيه للقبيلي والمتنفذ والعسكري ...إلخ، وفي زمن مثل هذا كان يجب أن يرحل أمثال شريف ناجي .. الغالب لا يرحم ولا يجامل أحداً .. وأدعياء الفن لا يستطيعون الوقوف أمام هذا الجمهور الصعب .. أما الفنان الجيد فيستقبله هذا الجمهور بتقدير وتشجيع كبيرين.

جربت غناء اللون الصنعاني ولم أوفق، وأخص هنا أغنية (حوى الغنج) .. ولم أتطرق مرة أخرى الى غناء اللون الصنعاني الا بعد تأكدي من قدراتي على العزف والأداء الجيد لهذا اللون تماماً، خاصة وأنه من أصعب الألوان الغنائية اليمنية!

شريف ناجي إنسان عادي، بسيط، له محاسنه وله عيوبه، فمحاسني ربما لا أعرفها وعلى الغير أن يكتشفها عندي، أما عيوبي فسرعة الغضب وسهولة التسامح أيضاً.

يطربني العديد من الفنانين .. ولكل فنان ميزته وشخصيته الفنية .. وأنا أطرب للأغنية الجيدة ذات الأداء الحسن .. ولا يهم من هو الفنان الذي يقدم تلك الأغنية الجيدة، ولا أهتم بجنسيته، المهم فنه الذي يقدمه للناس.

نقلت الأغنية بصدق وحب إلى المغتربين اليمنيين في أكثر من بلد.. كما قدمتها بشكل لائق لجمهوري الحبيب في الوطن اليمني الذي حظيت بحبه وإعجابه.

المغترب اليمني بل الإنسان اليمني عموماً، حساس جداً وذواق للفن كثيراً ونظراً لظروف المغترب كبعده عن أهله ووطنه وداره، أو لحياة الاغتراب التي يعيشها، فإنك تجد أحاسيسه فياضة بالشوق والحب للوطن وذكريات الصبا .. ولذلك فإنه يتأثر كثيراً عند سماعه للطرب الغنائي اليمني الأصيل .. وقد حدث ذات مرة أن كنت في دولة الكويت الشقيقة ضمن رحلاتي الفنية العديدة، وصادف أن بثت إذاعة الكويت أغنيتي (ياغايب متى با تعود) فبكيت .. أنا الذي سأعود إلى بلدي خلال فترة وجيزة، فما بالك بحالة المغترب المفارق أهله ووطنه منذ زمن بعيد؟!

عمري الفني قصير .. لا يسمح لي بأن أعطي رأياً نقدياً في أغنية لها عمرها وتاريخها وأصالتها وتراثها العريق .. ولكنني كمستمع أقول إن مستوى الأغنية اليمنية أفضل سابقاً عما هي عليه اليوم .. فنحن نتذكر تماماً الألوان الغنائية اليمنية ذات العمر الفني الطويل جداً ولكنها مازالت على نفس النكهة والذوق الفني كأغاني المرشدي وأحمد قاسم ومحمد سعد عبدالله ومحمد عبده زيدي، الذين قدموا أجمل الأغاني الأصيلة .. الفنان اليوم غيره بالأمس من حيث الظروف والمشاكل والهموم والمعاناة التي زادت حدتها كثيراً .. وأضحى إبداع الفنان مقروناً بتحسن ظروفه المادية والمعنوية، وظروف الناس الذين يتلقون إبداعه.

نجاح الأغنية لا يتأتى الا باكتمال أعمدتها الثلاثة: الكلمة، اللحن والأداء.. وعيب أي عمود فيها يجعلها تمشي كالعرجاء وسط الذوق الفني الشعبي العام!

الشاعر إنسان رقيق المشاعر، يعيش بمعاناة صادقة ، سريع التأثر بما حوله يترجمه بصدق وإحساس عميقين .. ويوجد أيضاً شعراء خياليون لديهم إمكانيات الكتابة الشعرية الخيالية ..(وطبعاً الخيال هو نصف الحقيقة) كما يقولون.

تأتي على الفنان ظروف لا يرغب فيها حتى سماع أغانيه، وليس العزف والغناء فقط .. كما قد تأتي ظروف أخرى نجده فيها متلهفاً الى الغناء والطرب بشكل غير عادي .. ولكنني لا أعتقد بأنه قد يأتي يوم يستغني فيه الفنان عن الغناء نهائياً، خاصة الأصيل منه.. كما لا يمكن تحديد العمر الزمني للفنان، لأن ذلك من الأمور المستحيلة!

الجمهور هو شريان الحياة للفنان .. فالفنان لا شيء بدون جمهوره ، وهو يكسب هذا الجمهور من خلال عطائه الفني الجيد، وإحساسه الصادق بعمق مشاعره الفياضة التي يحولها إلى إبداع أصيل.

أهوى قراءة الشعر والأدب بشكل عام فأنا أقرأ كل ما يقع تحت يدي من الكتب الأدبية .. واليوم أعيد للمرة الثالثة قراءة كتاب الدكتور محمد عبده غانم (شعر الغناء الصنعاني).

عندما أسمع المرشدي يغني أشعر بالنشوة الغامرة والطرب الأصيل .. وعندما أسمع محمد سعد أشعر بصدق الأداء النبيل .. وأرتاح جداً لسماع أحمد قاسم .. أما الزيدي فيشدني أداؤه كثيراً.

هناك علاقة أساسية وهامة بين الصحافة والفن .. فالصحافة تخدم القضية الفنية بشكل عام وهي تعبر بصدق وصراحة عن الإيجاب والسلب في معترك القضية الفنية .. فلا فن بدون صحافة فهي التي تعرف الجمهور بالفن والفنانين وتنشر وتتابع كل أخبارهم ليطلع عليها الجمهور في الداخل والخارج.

من الصعب جداً التوفيق بين عملي كرجل قانون وهوايتي الفنية، ولكن (ما باليد حيلة) .. فالفنان حساس المشاعر ورقيق المعاملة سريع التأثر .. ورجل القانون يفترض فيه الصرامة والقوة والالتزام القوي بتنفيذ شرائع القوانين السارية، فلاحظ الصعوبة بمزج شخصيتين متناقضتين كلية في وعاء واحد.. وفي حياتي صادفت كثيراً من المواقف التي تمزج ما بين عملي كرجل قانون وهوايتي كفنان .. فقد حدث أن كنت أعمل قاضياً في محكمة لودر الجزائية ذات مرة وقفت أمام قضية عائلية (طلاق بين زوجين) .. حيث حاول الزوج التقرب إلي كفنان وشعرت بوقوعي في الموقف المحرج تماماً .. مما اضطرني إلى تحويل القضية إلى زميل آخر للبت فيها كي تأخذ مجراها القانوني .. وبعدها رفضت الاستمرار في مزاولة هذا العمل الحساس .. وتحولت إلى وظيفة أخرى (مستشار قانوني) في وزارة العدل والأوقاف.

وهكذا رحل شريف ناجي جسداً بعد أن رحل من قبل روحاً وإبداعاً.

أوراق من مفكرة الفنان الراحل

تأثرت في بداية حياتي بالفنان الكبير فيصل علوي بحكم احتكاكي الدائم والمستمر معه.. وما زلت أرتاح كثيرا للاستماع اليه مما جعل البعض يشبه لوني الغنائي باللون الذي يغنيه فيصل علوي .. وقد أكون تأثرت بلون الغناء الكبير فعلاً ، لكنني اليوم لي شخصيتي المميزة ولوني الذي أعتز به.. ومرد ذلك إلى دقة اختيار ما يتناسب وطبقات صوتي وقدراتي اللحنية.

أفضل الغناء بمصاحبة الإيقاعات فقط ، بحيث أكون أكثر تسلطاً وانسجاماً .. والأغنية اليمنية احتفظت بأصالتها عبر تقديمها بآلة العود، مع تقديري لعملية التطوير والتوزيع الموسيقي الراهنة.

للغناء أهمية قصوى عند الإنسان، بل وضرورية .. فكل شيء في الكون يغني .. وليس ضرورياً أن يكون المغني (فناناً) فالأشجار والهواء والماء والطيور لها إيقاعاتها الموسيقية الخاصة .. والحياة من حولنا عبارة عن أغنية جميلة نستمتع بها جميعاً.

أغنية (يا غايب متى باتعود) هي باكورة ألحاني، وكلمات الشاعر ناصر الحميقاني .. وقد خلقت اللحن قبل كتابة النص الغنائي، وأسمعته للشاعر الحميقاني وطلبت منه كتابة نص غنائي مناسب للحن، وقد وفق في ذلك!

إنتاجي الغنائي كبير، وأعتز به كثيراً .. وأنا لا أؤمن بالكم ولكن بالكيف.

ويكفيني أن يردد الناس البسطاء ألحاني فهنا تكمن القيمة الحقيقية للأغنية.

كان حلمي أن أجيد العزف والغناء حباً في الطرب والفن، وليس سعياً وراء الشهرة .. تجاوزت ذلك الحلم عند انتشاري فنياً وجماهيرياً .. وأصبح حلمي اليوم أن أوفق في تقديم ما يرضي جمهوري الحبيب.

الجمهور اليمني أصيل جداً ولا يقبل إلا فناً جيداً، وهو في عن أهله ووطنه وداره، أو لحياة الاغتراب التي يعيشها، فإنك تجد أحاسيسه فياضة بالشوق والحب للوطن وذكريات الصبا .. ولذلك فإنه يتأثر كثيراً عند سماعه للطرب الغنائي اليمني الأصيل .. وقد حدث ذات مرة أن كنت في دولة الكويت الشقيقة ضمن رحلاتي الفنية العديدة، وصادف أن بثت إذاعة الكويت أغنيتي (ياغايب متى با تعود) فبكيت .. أنا الذي سأعود إلى بلدي خلال فترة وجيزة، فما بالك بحالة المغترب المفارق أهله ووطنه منذ زمن بعيد؟!

عمري الفني قصير .. لا يسمح لي بأن أعطي رأياً نقدياً في أغنية لها عمرها وتاريخها وأصالتها وتراثها العريق .. ولكنني كمستمع أقول إن مستوى الأغنية اليمنية أفضل سابقاً عما هي عليه اليوم .. فنحن نتذكر تماماً الألوان الغنائية اليمنية ذات العمر الفني الطويل جداً ولكنها مازالت على نفس النكهة والذوق الفني كأغاني المرشدي وأحمد قاسم ومحمد سعد عبدالله ومحمد عبده زيدي، الذين قدموا أجمل الأغاني الأصيلة .. الفنان اليوم غيره بالأمس من حيث الظروف والمشاكل والهموم والمعاناة التي زادت حدتها كثيراً .. وأضحى إبداع الفنان مقروناً بتحسن ظروفه المادية والمعنوية، وظروف الناس الذين يتلقون إبداعه.

نجاح الأغنية لا يتأتى الا باكتمال أعمدتها الثلاثة: الكلمة، اللحن والأداء.. وعيب أي عمود فيها يجعلها تمشي كالعرجاء وسط الذوق الفني الشعبي العام!

الشاعر إنسان رقيق المشاعر، يعيش بمعاناة صادقة ، سريع التأثر بما حوله يترجمه بصدق وإحساس عميقين .. ويوجد أيضاً شعراء خياليون لديهم إمكانيات الكتابة الشعرية الخيالية ..(وطبعاً الخيال هو نصف الحقيقة) كما يقولون.

تأتي على الفنان ظروف لا يرغب فيها حتى سماع أغانيه، وليس العزف والغناء فقط .. كما قد تأتي ظروف أخرى نجده فيها متلهفاً الى الغناء والطرب بشكل غير عادي .. ولكنني لا أعتقد بأنه قد يأتي يوم يستغني فيه الفنان عن الغناء نهائياً، خاصة الأصيل منه.. كما لا يمكن تحديد العمر الزمني للفنان، لأن ذلك من الأمور المستحيلة!

الجمهور هو شريان الحياة للفنان .. فالفنان لا شيء بدون جمهوره ، وهو يكسب هذا الجمهور من خلال عطائه الفني الجيد، وإحساسه الصادق بعمق مشاعره الفياضة التي يحولها إلى إبداع أصيل.

أهوى قراءة الشعر والأدب بشكل عام فأنا أقرأ كل ما يقع تحت يدي من الكتب الأدبية .. واليوم أعيد للمرة الثالثة قراءة كتاب الدكتور محمد عبده غانم (شعر الغناء الصنعاني).

عندما أسمع المرشدي يغني أشعر بالنشوة الغامرة والطرب الأصيل .. وعندما أسمع محمد سعد أشعر بصدق الأداء النبيل .. وأرتاح جداً لسماع أحمد قاسم .. أما الزيدي فيشدني أداؤه كثيراً.

هناك علاقة أساسية وهامة بين الصحافة والفن .. فالصحافة تخدم القضية الفنية بشكل عام وهي تعبر بصدق وصراحة عن الإيجاب والسلب في معترك القضية الفنية .. فلا فن بدون صحافة فهي التي تعرف الجمهور بالفن والفنانين وتنشر وتتابع كل أخبارهم ليطلع عليها الجمهور في الداخل والخارج.

من الصعب جداً التوفيق بين عملي كرجل قانون وهوايتي الفنية، ولكن (ما باليد حيلة) .. فالفنان حساس المشاعر ورقيق المعاملة سريع التأثر .. ورجل القانون يفترض فيه الصرامة والقوة والالتزام القوي بتنفيذ شرائع القوانين السارية، فلاحظ الصعوبة بمزج شخصيتين متناقضتين كلية في وعاء واحد.. وفي حياتي صادفت كثيراً من المواقف التي تمزج ما بين عملي كرجل قانون وهوايتي كفنان .. فقد حدث أن كنت أعمل قاضياً في محكمة لودر الجزائية ذات مرة وقفت أمام قضية عائلية (طلاق بين زوجين) .. حيث حاول الزوج التقرب إلي كفنان وشعرت بوقوعي في الموقف المحرج تماماً .. مما اضطرني إلى تحويل القضية إلى زميل آخر للبت فيها كي تأخذ مجراها القانوني .. وبعدها رفضت الاستمرار في مزاولة هذا العمل الحساس .. وتحولت إلى وظيفة أخرى (مستشار قانوني) في وزارة العدل والأوقاف.

أرتاح لسماع أحمد قاسم ويشدني أداء الزيدي

فن الغناء اليمني القديم ومشاهيره

الشيخ إبراهيم محمد الماس

الفنان الذي أنجب لاعب القرن !!

محمد مرشد ناجي

ابراهيم الماس

ولد الشيخ إبراهيم محمد الماس في مدينة "كريتر" وتلقى دراسته في مدارسها الحكومية، وبعد انتهاء الدراسة انخرط في الوظيفة الحكومية إلى أن توفاه الله في ١٩٦٦م.

كان والد الأستاذ إبراهيم الشيخ محمد الماس المتوفى في ١٩٥٣م مطرباً ذائع الصيت، ومن أساطين الغناء اليمني القديم سجل بعضه في أسطوانات، وهو ينحدر من شبام في كوكبان شمال بلاد اليمن، وانتقل مع اسرته إلى عدن كغيره من المطربين الذين سبقت الإشارة إليهم بسبب تحريم الغناء في عهد بيت آل حميد الدين، وجعل من منزله مستقراً لزملائه من المطربين أمثال الشيخ محمد العطاب الذي كان يفد إلى عدن بين الفينة والفينة، ويجلب معه المتنوع من الأغاني اليمنية القديمة، وكان الفتى إبراهيم يحرص أشد الحرص على حضور جلسات الطرب التي يعقدها الشيخ العطاب مع أبيه، فامتلأت أذناه بالنغم الشجي، أنغام كلها من صميم التربة اليمنية، اختلطت بدمه، ودبت في شرايينه، فأحس برغبة جامحة تدفعه لتعلم العود، وأخذ والده يدربه عليه، وعلى أصول الغناء اليمني القديم بعد ان استمع الشيخ الوالد إلى صوت ولده الشجي، وتم له ما أراد فحفظ القصائد، والأساليب الغنائية عليها، وكان إلى جانب ذلك يستمع إلى الأغاني المصرية لسلامة حجازي وسيد درويش ومحمد عبدالوهاب، وحفظ من هذه الأغاني ما كان يعجبه حتى أنه سجل واحدة منها في اسطوانة وهي أغنية "متع حياتك" لسلامة حجازي، وقد تحققت من ذلك في كتاب الدكتور محمد فاضل الذي أرخ حياة وأغنيات الفنان المصري الشهير سلامة حجازي بدقة متناهية.

كان الأستاذ إبراهيم محمد الماس كغيره من الأعلام الحافظين للغناء اليمني القديم، ولكن إشارة عنه للدكتور القدير محمد عبده غانم أوردها في كتابه "شعر الغناء الصنعاني" (ص ٣٦،٣٥) جعلتني أتوقف عندها لأهميتها كقوله: "انه كان للشيخ إبراهيم الماس الفضل - إن صح هذا التعبير على حد قوله - في إدخال أغاني المداحين على مجموعة الأغاني الصنعانية بعد ان سجلها في أسطوانات، ورسمت عبارة صنعاني على هذه الاسطوانات، وأن قصائد هذه الأغاني منسوبة للشاعر التهامي المعروف جابر رزق".

وهذا في الحقيقة خطأ شائع وقع ويقع فيه الكثيرون، لأن ما تسمى بالأغنية الصنعانية سواء منها ذات (البيت، والتوشيح، والتقفيل أو التقميع) والتي برأيي هي الموشحة الغنائية اليمنية كما سبق التفصيل عنها أو تلك التي هي على وتيرة لحنية واحدة، لا يقدر أحد أن يؤكد على صنعانيتها من جهة، كما ان منطق الفن الغنائي لا يقرها البتة من جهة أخرى، وإنما الواقع الفني زمان هي كون صنعاء عاصمة اليمن، ووجود نوابغ أهل الغناء فيها، وان كان منهم ليس من صنعاء، جعل انتساب كل أغنية تخرج من صنعاء في عصر الظلام، على أنها صنعانية، وان كان الفنان قد جاء بها من مكان آخر في اليمن، إن أغنية (خطر غصن القنا) للأستاذ الفنان علي الآنسي لو جاءت في عصر الظلام لقيل أنها أغنية صنعانية، مع انها مأخوذة من لحن "الدودحية" الشعبي عدا بعض الإضافات الفنية الرشيقة التي اضافها الفنان المقتدر علي الآنسي.

وجدير بالتنويه أن الأقطار العربية جميعها لا تنسب تراثها النغمي القديم المجهول تلحيناً - إلى أسماء عواصمها كونه تراث القطر كله. وانما في الوقت ذاته تنسب تراث الأفراد إلى اسمائهم وحسب.

إن الأستاذ إبراهيم محمد الماس يصبح له الفضل صحيحاً وكاملاً إذ لم يسبقه احد من المطربين في أداء أغاني المداحين، وإذا سبقه إلى ذلك أحد، يصبح له جزء من هذا الفضل لأنه حقق لها الانتشار الواسع من خلال تسجيلها في اسطوانات. ونضيف إلى هذا الفضل - ان كانت له الأولى - فضلاً آخر هو أن الأستاذ إبراهيم قد ثار على مفهوم مجتمعه الراقي الذي كان ينظر إلى فنون الشعب نظرة ازدراء واحتقار، ومن هذه الفنون غناء المتسولين والمتجولين والمداحين.

ويصف لنا الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف فن المداحين في كتابه (الوان من الفن الشعبي) (والمداحين في أدائهم طريقة لا يشاركهم فيها غيرهم، وليس لها شبيه في أي لون من الوان الفنون الشعبية وهي أقرب ما تكون إلى طريقة الإنشاد والترتيل، ويعتمدون على نداوة الصوت، وطرب التنغيم، ولهم في ضبط الإيقاع على نقرات الدف براعة لا أدري عمن أخذوها ولا ممن وصلت إليهم في القديم ، والدف هو الأداة الوحيدة التي يعتمدون عليها في ذلك، وهو رق من جلد مشدود على إطار من خشب، وهو شبيه بالرق الذي يستعمل لضبط النغمات في تخوت الموسيقى والغناء، ولكنه يخالف باتساع إطاره، وليس في جوانبه فتحات بها جلاجل أو صاجات، ومن ثم كان اصم الصوت وليس بذي أثر كبير في الطرب، وانما الغاية منه ضبط التوقيع وتمثيل المعاني في الأداء وقد كان العرب يستعملون الدف في إذاعة المحامد والمآثر وشاع استعماله بين النادبات في البكاء على الموتى وتعديد محامدهم، وقد أتخذته بعض الطوائف الصوفية لضبط حركات السير في مواكبها، وحركات الذكر في محافلها، وهو كذلك عندهم إلى اليوم).

والجدير بالذكر أن الأستاذ إبراهيم محمد الماس بعد ان اكتمل نموه في الغناء، كان يمارس الغناء كهاوٍ بين أصدقائه ومحبيه لانه كما اشرنا كان موظفاً حكومياً، والهوية الموسيقية برأي الموسيقي المصري المعروف سليمان جميل (تساعد على تكوين الفنان الأصيل، فان الهوية أيضاً تساعد على تكوين المتذوق الواعي للفنون الأصيلة)، وهذه حقيقة أكيدة فقد لعب هواة الغناء في اليمن دوراً كبيراً في حفظ الألحان القديمة التي وصلت إلى جيل اليوم على مدى قرون من الزمان. وعندما قبل الأستاذ إبراهيم الماس بالتسجيل لشركات الاسطوانات مقابل مبالغ مادية، كان في ذلك مضطراً لظروف والده وعائلته التي كانت تكبر مع الأيام حتى بلغ رقم أبنائه وبناته العشرة.

والأستاذ إبراهيم يعد من مشايخ الغناء اليمني القديم برأي الحاج عوني حسن العجمي، ومن خلال اسطواناته غطت شهرته الساحة اليمنية والجزيرة العربية بأسرها.

أغنية

كان وكان

كلمات / مصطفى خضر ●
لحن وغناء/ أبوبكر فارع

يالـلـي كـنـت تـفـــرح لآهـاتـي وأنـاتـي ودمـــــوعـي
يالـلـي كـنـت تـســخـــر وتـتـلـذذ بـذلـي وخـضـــوعـي

شـــوف أجـى دورك لـتـبـكـي ... ذوق مـــاذقـتـه وأكـثـــر
أبـكـي خـلـص دمـع عـــيـنـك ... واشـكـي وأتـألـم وأســهـــر
مـســتـحـيـل أرثـي لحـالـك ... والا أظـهـــر لـك حـنـان
مـســتـحـيـل أذرف لأجـلـك ... دمـعـة وحـدة زي زمـــان
ذا هـواك فـي قـلـبـي مـــات ... مـــا بـقـاش لـه عـــاد مكان
واللـي ضـحـيـت لـه حـيـاتـي ... أصـبـح الـيـوم كـان وكـان

* * *

مش حـــــرام!!؟ دحـين تـقـلـي مش حـــــرام أرحـم لحـــالـي
لـيش قـلـبـك مـــا رحـــمـني لما كنت أســـهـــر لـيـالـي

والا إيش يـعـنـي نـســـيـت ... أو خـلاص مـاعـاد فـاكـر
طـيـب أنـسـى أنـت حـــر ... بس أنـا مـــازلـت ذاكـــر
ذي الجـــراح عـــاده طـريـة ... والألـم مـــازال يـوجـع
والـعـيـون فـيـهـا أمـارة ... حـتـى لو مـا عـــاد تـدمـع
لا خـــلاص حـبـك دفـنـتـه ... واللـي مـات مـاعـاد يـرجـع
كـان زمـان حـبـك حـيـاتـي ... واصـبـح الـيـوم كـان وكـان

* * *

شـــوف نـجـوم الـظـهـــر أقـــرب مـن فـــؤادي اللـي جـرحـتـــه
روح ودور مـن يـحـبـك غـــيـــر قـلـبـي اللـي قـهـــرتـه

عـيـش كـدا تـايـه مـضـيـع ... واقـــضـي أيـامـك عـــذاب
عـيـش وابـكـي اللـي خـسـرتـه ... وافـنـي بـاقـيـة الـشـبـاب
ذا شـبـابـك مـن عـــذابـي ... مـن دمـــوع أيـام زمـــان
انـتـهـى دمـعـي وعـــذابـي ... وانـتـهـيـت انـت كـمـان
فـين عـــاد بـاتـلاقـي عـطـفـي ... والا بـــاتـــذوق الحـنـــان
كـل مـا شـفـتـه وذقـتـه ... أصـبـح الـيـوم كـان وكـان

الاحتفاء بحسين السيد احتفاء بالثقافة!!

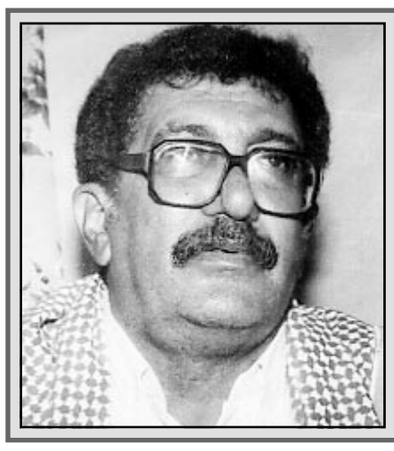

الخميس القادم